فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم
من سلسلة "علمتني آية"
تعظيم الحرمات
(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ: محمد سعد

رابط المـادة: https://way2allah.com/khotab-item-168541.htm

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

"ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ * ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ" الحج ٣٠:٣٢

الحرمات والشعائر

آيتان في سورة الحج، ترسمان لك أيها العبد المؤمن منهاج حياتك في تعاملك مع الحرمات والشعائر، "ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ..." الحج: ٣٠، وذلك ومن يُعظّم شعائر الله، ما معنى تعظيم الحرمات؟ وما معنى تعظيم الشعائر؟ وكيف يكون هناك فرق بين العبد المؤمن في تعامله مع الحرمات والشعائر، وتعامل العبد الآخر–نعوذ بالله من هذا الحال–؟

الحرمات هو كل أمر أمرك به الله –تبارك وتعالى–أن تفعله وتركه مُحرّم، وكلّ أمرٍ أمرك الله –تبارك وتعالى أو رسوله – صلّى الله عليه وسلّم–أن تجتنبه، وفِعلك إيّاه مُحرّم.

أما الشّعائر فكل ما فيه شعار على أن هذا الفعل من العبوديّات لربّ العالمين. فالآذان من شعائر الله، الصّلاة من شعائر الله، الصيام من شعائر الله، الحج من شعائر الله، الكعبة من شعائر الله، كتاب الله من شعائر الله، هذه شعائر الله –عزّ وجل–.

تعظيم أمر الله

العبد المؤمن عظيمٌ على قلبه كل أمر أمره الله –تبارك وتعالى– أن يفعله، يُعظّمه، يُبجّله، يُوقّره، كبيرٌ في عينه، كبيرٌ في قلبه، يستعظمه، يراه عظيمًا جليلًا، كذلك كل أمرٍ أمره الله –تبارك وتعالى– أن يتركه، كل أمرٍ حرّمه الله عليه، كل أمرٍ حرّمه عليه نبيّه –صلّى الله عليه وسلّم– يراه كبيرًا، يراه عظيمًا، كما قال –صلّى الله عليه وسلّم–: "إنَّ المؤمنَ يرَى ذنوبَه كأنه في أصلِ جبلٍ يخافُ أنْ يقعَ عليه وإنَّ الفاجرَ يرَى ذنوبَه كذبابٍ وقع على أنفِه قال به هكذا، فطار" صححه الألباني

وكما قال بعض الصّحابة: إنّكم لتعملون أعمالًا كُنّا نعدّها على عهد النّبي –صلّى الله عليه وسلّم–من الموبقات.

من أوجه التّعظيم

العبد المؤمن عندما يدخل على طاعة الله –تبارك وتعالى– تراه يُحسنها غاية الإحسان، يُعظّمها غاية التّعظيم، يُبدّلها لا تراه أبدًا يستهزئ، أو يُنكّت، أو يسخر، أو يقول كلامًا لا يليق بشيء من شعائر الله –عزّ وجل–، بل تراه إذا أراد أن يُصلّي يستعظم هذا الفعل، يستعظم الآذان؛ ما إن يسمع الله أكبر حتى يخفض صوته، بل ينقطع صوته، صهٍ، ردّد كلام المُؤذن، يُعظّم هذه الشعيرة، يدخل المسجد يُعظّم بيت الله –عزّ وجل–، ما إن يرى فيه قذاه؛ ريشة، حتى يأخذها، لا يملك قلبه أن يرى ذلك، فضلًا عن أن يُلوّث بيت الله –عزّ وجل–، تطوق نفسه إلى الحج والعمرة، يُعظّم بيت الله –عزّ وجل–، المصحف بين يديه عظيم جدًا، إذا رأى ذرّة تراب، يمسحها، يُقبّله، يضعه على رأسه، يُعظّم كلام الله –عزّ وجل–، يُعظّم كلام النّبي –صلّى الله عليه وسلّم–؛ لا يرفع صوته على صوته، ولا يُقدّم أحدًا على أمره؛ هذا هو العبد الذي يُعظّم شعائر الله –تبارك وتعالى–، ويُعظّم حرمات الله –عزّ وجل–؛ لا يُفرّق بين ذنب كبير ولا صغير، أهل العلم عندما فرّقوا بين الكبائر والصغائر كان هذا للتنظير العلمي، حتى يعلم الناس ما هي الحدود وما هي الكبائر وما هي الصغائر.

كيف تُعظّم شعائر الله؟

العبد المؤمن لا فرق عنده بين صغيرة وكبيرة، كلّها حرّمها الله –عزّ وجل–، كلّها كبيرة عنده لماذا؟ كيف يأتي التّعظيم؟ كيف تُعظّم حرمات الله؟ كيف تُعظّم شعائر الله؟

إنه لا يُمكن أن تُعظّم أوامر الله –عزّ وجل–، ولا تُعظّم نواهي الله –تبارك وتعالى–، ولا تُعظّم شعائر الله –عزّ وجل–، إلّا إذا وقر في قلبك تبجيلَ الجليل العظيم، عندما يعظُم ربُك في قلبك، الله –تعالى– هو العظيم، الله –تعالى– هو الجليل، هو الكبير لا أجلّ منه، لا أعظم منه، لا أكبر منه، لكن ليست هذه هي القصّة، القصة هل الله –تعالى– هو أعظم ما في قلبك؟ هل الله –عزّ وجل– هو أجلُّ ما في قلبك؟ هل الله –تبارك وتعالى– هو أكبر ما في قلبك؟ عندما أمرك الله –تبارك وتعالى– فقال: "وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ" المدثر:٣، أو ليس الله –تبارك وتعالى– هو الكبير؟! بلى، هو الكبير، لكن القصة أن يكبر في عينك ربّ العالمين فيصغر من سواه، أن يعظم في قلبك ربّ العالمين؛ فتحتقر من سواه، يصغر في عينك من سواه، فيعظم عندك قوله، ويعظم عندك أمره، ويعظم عندك نهيُه، ويعظم عندك شعائره، تراها عظيمة لأنها جاءت من العظيم، الجليل.

من هو الله؟

الله –تبارك وتعالى– حدثنا نبأ عجبًا في كتابه عن نفسه، حتى يستقرّ في قلبك تبجيل وتوقير وتعظيم رب العالمين– سبحانه وتعالى–، جاء رجل يومًا من أحبار اليهود –وأنا أرجوك استشعر معي هذا الحديث–، حبر من أحبار اليهود جاء يوم إلى النّبي–صلّى الله عليه وسلّم– فقال: يا محمَّدُ! إنَّ اللَّهَ يَضعُ السَّماواتِ على أصبَعٍ، تخيّل معي كده، ربّ العالمين –الكبير– الذي لا أكبر منه، الجليل الذي لا أجلّ منه، إنت مين؟ وأنا مين؟ والأرض مين؟ يقول هذا الحبر: والجبالَ على أصبَعٍ، والشَّجرَ على أصبَعٍ، تخيّل كم مليار شجرة والماءَ والثَّرى على أصبَعٍ، شوف البحار، المحيطات،

الأنهار كل هذا الماء على إصبع، ثمَّ يقولُ: أنا الملِكُ؟ فضحِك رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ حتَّى بدَت نواجِذُه، ثم تلى هذه الآية وتأمل، قال: "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ" الزمر:٦٧،" أخرجه البخاري، تخيّل بقى السماوات مطويّات بيمين المَلك.

عندما يُخبرنا نبيّنا –صلّى الله عليه وسلّم–فيقول: " تَدْرونَ ما هذهِ الَّتي فَوْقَكُم؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أَعْلَمُ. قال: فإنَّها الرَّقِيعُ، سَقْفٌ محفوظٌ، ومَوْجٌ مَكفوفٌ. هل تَدْرون كَمْ بيْنكُم وبيْنها؟ قالوا: اللهُ ورسولُهُ أَعْلَمُ. قال: بيْنكُم وبيْنها مَسِيرةُ خمسِ مِئةِ عامٍ، وبيْنها وبيْن السَّماءِ الأُخرى مِثْلُ ذلكَ، حتَّى عَدَّ سَبْعَ سمواتٍ، وغِلَظُ كلِّ سماءٍ مسيرةُ خمسِ مِئةِ عامٍ.." أخرجه الترمذي، ويقول –صلّى الله عليه وسلّم–: "... ما السَّمواتُ السَّبعُ مع الكُرسيِّ إلَّا كحلقةٍ مُلقاةٍ بأرضٍ فلاةٍ وفضلُ العرشِ على الكُرسيِّ كفضلِ الفلاةِ على الحلقةِ ..." صحيح ابن حبان أقف كده في الصحراء مثلًا، وأرمِ خاتم، يطلع إيه الخاتم في الصحراء؟! الرسول يقول السماوات السبع كحلقة في فلاة، بالنسبة لإيه؟ للكرسي، إيه هو الكرسي أصلًا اللي ربّنا قال عنه في أعظم آية في كتابه إيه؟؟

قال: "وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" البقرة:٢٥٥، الكرسي كما قال عباس فيما صحّ عنه: موضع قدم الرّحمن، والرّحمن على العرش استوى.

يقول –صلّى الله عليه وسلّم–: " أُذِنَ لي أنْ أُحدِّثَ عن ملَكٍ من حملةِ العرشِ، رجلاه في الأرضِ السُّفْلى، وعلى قرْنِه العرشُ، وبين شحمةِ أُذُنَيْه وعاتِقِه خَفَقانُ الطيرِ سبعَمائةِ عامٍ.." صححه الألباني. انت مين؟ والناس مين؟ والخلق مين؟ لا شـــيء بالنســـبة إلى الله –تبارك وتعالى–. عندما تعرف أن الرّب العظيم بهذا الجلال هو الذي أمرك أن تفعل هذا الفعل، هو الذي حرّم عليك هذا الفعل، هو الذي شرع لك هذه الشريعة، حينئذ ستقول كما قال –صلّى الله عليه وسلّم–: "وجُعِلَتْ قرَّةُ عيْنِي في الصلاةِ" أخرجه النسائي وأحمد.

أتقن العبادة

تستغرب لما تسمع إن كان من السّلف، لمّا يجي يتصدّق بدينار، بجنيه مثلًا يعني، يعمل إيه؟

يطيّبه، طب هو بيطيّب الجنيه ليه؟ بيطيّب الدينار ليه؟ فلمّا يُسأل عن ذلك يقول: لأنّها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد الفقير. سيُقدّم لله أحسن ما يكون، ثم ينفتل من صلاته وطاعته قائلًا: أستغفر الله، مع إنه هو عمل إيه؟ توضّأ أحسن ما يكون، ولبس أحسن ما يكون، كان بعض السّلف يعمل كده، تخيّل مثلًا إنت لما بتقابل واحد من عظماء الدنيا، بتحبه جدًّا أو بتوقّره جدًّا، بتعمل إيه؟ بتشتري مثلًا توب غالي جدًا، ليه؟ ما إنت بتقابل حدّ مهم جدًا، أو بتعظّمه أو بتحبّه، فجايب له توب يليق به كان السّلف يعملوا كده، يشتري حلّة غالية جدًا لماذا؟ لا ليلقى بها عظماء الدنيا، أبدًا، إنّما ليلقى بها ربّ العالمين في الليل، يجي بالليل يلبس حلّته، مش لابس الترينج، نزل الصلاة بأي...، لا لا لا.

ده يتّخذ أحسن ما يكون لأنه سيلقى الله العظيم، يُناجي ربّه، فاستشعارك عظمة ربّ العالمين هذا، سيجعلك تُحسن أعظم ما يكون هذه العبادة، وتُعظّمها أعظم ما يكون، عشان كده قال: –صلّى الله عليه وسلّم–: "أمّا الرّكوع فعظّموا فيه الرّب". صحيح ابن حبّان. ستركع وتستشعر من الخلق، ومن ربّ العالمين، الصلاة ملحمة من التّكبير ليه؟ ليه؟ من

أوَّل الآذان لحدّ ما تنتهي من الصلاة؛ الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، تأكيد على المعنى ده؛ اللي هو إيه؟ أنه لا أكبر من الله. عدي بن حاتم لما النبي –صلى الله عليه وسلم– قابله عشان يدعوه للإسلام. قال: يا عدي أفرّك أن تقول الله أكبر، أأكبر من الله يا عدي؟ إنت أصلًا شايف إن فيه حد أكبر من ربّنا؟

ما عرفوه حق المعرفة

إنت عارف مصيبة الناس يوم القيامة إيه؟ مصيبة الخلق يوم القيامة الآية دي، المشكلة في الآية دي، اللي هي إيه؟ "تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ" الشعراء٩٧:٩٨، كما قال سبحانه وتعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ" فين المشكلة؟ "ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ" الأنعام:١، لمّا تحُطّ لربّنا عِدل أو لربّنا مثيل، أو لربّنا مُكافئ، تأتي المصيبة؛ حينئذ ستتعارض الأوامر وستُعظّم أوامر غير ربّنا –سبحانه وتعالى–، لكن لمّا ترى ربّنا على الحقيقة وأن الله –تعالى– كما قال: "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ" الزمر:٦٧، وأنّه العظيم، الجليل، الكبير الأكبر، سيتضاءل ويتصاغر كلّ من سوى الله –عزّ وجل–، وترى على الحقيقة لا كبير إلّا هو، لا عظيم إلّا هو، لا جليل إلّا هو، حينئذ ستعظم عندك النّظرة.

نتيجة مُفرحة

مش ممكن تجي إنسانة تقول هو ده صغيرة ولا كبيرة؟ لا لا، هي في حق مين؟ عشان كده اتفق أهل العلم على أن استصغار الذنب يكبر عند ربّ العالمين، لما الواحد يستحقر الذنب؛ يكبر عند ربّنا، لكن لمّا يستعظم الذنب يكون صغيرًا عند الله –عزّ وجل– فيغفره الله للعبد. هكذا العبد المؤمن.

"ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ" الحج:٣٠، يوم القيامة يجد الأعمال عظيمة، طيّبة، فيها أجر عظيم لأنه أحسنها غاية الإحسان، ويجد نفسه بعيد غاية البُعد عن معاصي الله –عزّ وجل–، ويجد نفسه مُعظّم لشعائر الله. "ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى" الحج:٣٢، من تقوى إيه؟ "فَإِنَّهَا مِن الْقُلُوبِ" الحج:٣٢، مش ممكن تجد عبد عظّم ربّنا بجد، وأجلّ الله –عزّ وجل–، وكبّر ربّنا لا يُعظّم شعيرة من شعائر الله أبدًا، بل تراه مُحبًّا وجلًا، خائفًا مُعظّمًا، مُوقّرًا، مُحترمًا لكل شعائر الإسلام.

أسأل الله –تبارك وتعالى–أن يجعلنا وإيّاكم ممن يُعظّمون الله حقّ تعظيمه، ويُكبّرونه حقّ تكبيره

والسّلام عليكم ورحمة الله–تعالى وبركاته–

تم بحمد الله